
السنة الرابعة | العدد (159) | 5 تشرين الأول 2014
سوريتنا
www.souriatnapress.net
souriatna@gmail.com
تنظيم "الدولة"
على مشارف كوباني
الاختلاط والاندماج ايجابية النزوح الوحيدة
(السويداء مثالاً)
صناعة الحياة في درعا البلد
مغارة براعم العمري والـ 150 طفلاً
مخيم اليرموك
مأساة فلسطيني بيد فلسطيني
لاجئو كوباني على الحدود التركية

عبد القادر عياش 1911 - 1974

■ ياسر مرزوق

ولد عبد القادر العايش في مدينة دير الزور على نهر الفرات عام 1911، والده عياش الحاج حسن من كبار الزعماء والملاكين والتجار ووالدته السيدة قمر الحاج حسين سليلة الأسرة العريقة ذاتها.

تلقى علومه الأولية في كتاب المدينة، ثم انتقل إلى الكلية الاسلامية في بيروت، ونال منها الشهادة الابتدائية، ثم انتقل إلى المدرسة الإنجيلية الوطنية في حمص، وحصل هناك على الشهادة المتوسطة، انتقل بعدها إلى دمشق وأتم دراسته الثانوية في معهد اللاييك عام 1931.

في العشرينات نفت السلطات الفرنسية أسرته بالكامل إلى مدينة جبلة، بتهمة التحضير لثورة في الفرات لتخفيف الضغط عن ثوار الغوطة وجبل العرب، وحكم الفرنسيون على أخويه محمد ومحمود بالإعدام الذي نفذ في مدينة حلب.

يقول عياش عن تجربته «منذ نيف وأربعين سنة جعلتني النوائب هدفاً لها ومـا زالت تستهدفني دون أن تهادنني مات أبي في منفاه سنة 1925 وأنا صغير ورمى الفرنسيون أخي برصاصهم ونفيت مع أسرتي أربع سنوات، وفجعت بأخوتي الكبار الخمسة واحدا بعد واحد وبشقيقتي الكبرى وسجنت في قضايا وطنية وفكرية واضطهدت وغمطت ورزئت بموت زوجتي أما لسبعة أولاد ونكبت بموت أبي وذهبت بخسارة أموال طائلة».

عام 1932 انتسب عياش إلى معهد الحقوق بدمشق ونال شهادته عام 1935 ومارس المحاماة مدة سنتين انتقل بعدها للعمل قاضياً عقارياً في حلب عام 1937 ومعرة النعمان ودير الزور ودمشق وفي عام 1941 عين مديراً لمنطقة الباب ثم السلمية ثم استقال وعاد إلى دير الزور.

تزوج من مديحة ابنة الزعيم محمد العايش سنة «راجع محمد العايش، وجوه من وطني» 1936 وقد رزق بثلاثة أولاد ذكور هم: فاروق، غازي، عبد العزيز وأربع بنات هن فرات، جلاء، شذاء، وفاء وقد توفيت زوجته سنة 1963.

في دير الزور تفرغ عياش للعمل العام فأسس نادي البيت الثقافي عام 1944 في خان ورثه عن والده وقام بإصلاحه والانفاق عليه من ماله الخاص وكان يلقي فيه محاضراته الأدبية والتاريخية، وتحول وجهة لمعظم مثقفي الفرات آنذاك، وقد أغلق هذا النادي في زمن حسني الزعيم سنة 1949.

عام 1945 أصدر مجلة صوت الفرات وكانت متخصصة بالكتابة عن شؤون وادي الفرات لا تتجاوزها، وكان عبد القادر عياش يكتب جميع بحوثها وتطبع على نفقته، وقد تعرضت للتوقف من قبل السلطات عدة مرات، وقد اهتمت المجلة بكافة أمور دير الزور ووادي الفرات من ثقافة وتراث وأولت الاهتمام بالدراسات العلمية لتطوير المنطقة اقتصادياً وعلمياً كما اهتمت بكل المشاكل التي يعاني منها أهالي وادي الفرات إن



كانت زراعية أو طبية أو تعليمية أو عمرانية، واستمرت المجلة اثنين وعشرين عاما. وقال عنها الدكتور يوسف شقرا: «هذا العمل من شأنه أن يحفظ لنا تراثنا وأن يشجع الآخرين على العناية به ويكون مرجعا ثقافيا لسكان هذه المحافظة وزوارها».

ترأس عياش المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في الجمهورية العربية المتحدة سنة 1961 وبقي فيه يناضل من أجل تدوين حضارة وادي الفرات حيث يقول فيه «في الوقت الذي توجد المؤلفات والمصنفات العديدة عن وادي النيل ومدنه وخططه لا يوجد أي كتاب عن وادي الفرات وطلبت الاهتمام بإخراج كتيب عن الفرات للتعريف بحضارته».

طوال حياته لم يتوقف عياش عن المطالبة بالصلاح خاصة في وادي الفرات، ويقول في ذلك: «ما فتئت من ربع قرن أطالب المسؤولين عن طريق مقالاتي في الصحف السورية وفي مجلة صوت الفرات بإنشاء المدارس ودور الكتب وإشراك أبناء الفرات في البعثات التعليمية، ولقد دعوت الأهلين مراراً إلى تأسيس صناعات ومزارع جماعية ومداجن وإلى الاستفادة من أسماك الفرات وهي ثروة هامة مع افتقارنا الشديد إلى استغلالها. ودعوت إلى تشجير المنطقة ومكافحة القذارة وأكل البزر في الشوارع ودور السينما والمحلات العامة لأنه بصاق متواصل».

نشر 117 كتاباً على نفقته حول وادي الفرات، عن التاريخ والجغرافيا والثقافة والتراث، نذكر منها، «الخبز في دير الزور، التداوي المحلي، استقبال المولود في دير الزور، نباتات بادية الفرات، أبرز أماكن الآثار في الفرات، الزواج في دير الزور، سكان وادي الفرات، تقاليد الوفاة بدير الزور، المرأة في الفرات، حيوانات بادية الفرات، المعتقدات الشعبية في وادي الفرات، الأسرة في الفرات، المأكل والملبس، أمثال دير الزور، الترانيم الفراتية للأطفال، طيور بادية الفرات، مؤونة البيت بدير الزور، البيت في دير الزور، المقاهي والدواوين في دير الزور».

في أعوامه الأخيرة تفرغ عياش للعمل على «معجم الكتاب السوريين في القرن العشرين» ترجم فيه لأكثر من ألف أديب وأديبة سورية، وعدد أعمالهم، وأورد موجزاً لحياتهم، لكن القدر لم يمهله لرؤية عمله مطبوعاً فوافته المنية عام 1974 وشيع ودفن في دير الزور.

قال عنه الأديب نظير زيتون: «إنك في نظري ونظر من عرفوك وخبروك وسبروا غورك وقدروك، موسوعة تاريخية اقتصادية، اجتماعية، شعبية للفرات، والفرات السوري قلادة من الزمرد في تاريخ سورية، وتاج من اللازورد على رأس سورية، وسوار من الماس والياقوت في معصم سورية، أو هي تلك الدموع التي انهمرت من عيني آلهة الإخصاب الأسطورية حينما أدركتها العاصفة، ونزعت عنها وشاحها السحري، ورمته في تلك المنطقة الميمونة وكانت أرض الخيرات والبركات.

نعم أنت محام، وأنت أيضاً موسوعة تاريخية اقتصادية اجتماعية شعبية للفرات دلت عليها مؤلفاتك الثمينة، التي فتحت العيون على عالم خير" شبه مجهول في وطننا الحبيب».

وقال عنه الشاعر حامد حسن: «من أراد أن يجمع التاريخ، وأعني تاريخ وادي الفرات والجزيرة الفراتية، في حقيبة ويرى أمة في رجل، فليقرأ ما دبجته براعة العلامة عبد القادر عياش».

أما الأب فردينال توبل صاحب المنجد فقال: «ياليت كل بلدة من بلادنا تفاخر برجل كعبد القادر عياش، يجمع أخبارها ويستقصي الإفادات عنها، ويدونها القرطاس فلا تضيع، وتبقى مع المؤلفات القيمة، التي تركها جغرافيو العرب».

قال عنه الدكتور عدنان الخطيب في مقالته في مجمع اللغة العربية شهر كانون الثاني سنة 1968: «أحب دير الزور حاضرة الفرات حيث رأى النور لأول مرة وكانت على أرضها مدارج طفولته وعلى شطآن الفرات مرابع صباه فهام بها حباً حتى غدا أريج ترابها يغذوه وعبير طرفائها ينشيه ولما شب وفى دينه لوادي النهر العظيم فوقف جهوده وما ورثه أو يجتنيه من مال على خدمة هذا الوادي ناشطا في دراسة تاريخه هاوياً جمع آثار من أقاموا فيه دائبا على البحث والتنقيب عن عادات وتقاليد المعاصرين والغابرين من أهل الفرات مدوناً ما يجتمع لديه من أعراف ومفاهيم تتصل بحياتهم الشعبية فإذا صنفها أخرجها للناس في كتيبات أطلق عليها اسم سلسلة تحقيقات فلكورية من وادي الفرات وقارئ هذه البحوث يجد فيها لمحات تاريخية عما ورثه أهل الفرات عن أسلافهم من عادات وتقاليد كما يجد فيها صوراً رائعة ووصفا ممتعاً لحياة الناس في بيوتهم وفي معايشهم وفي مزارعهم وحقولهم الممتدة على شواطئ الفرات الخصب والثروة في كل من سورية والعراق».